نصوص من كتاب المعلمين للجاحظ

اعداد وتعليق: معن حمدان علي*

●المقدمة:

قيل لابي هفان يوماً «لم لا تهجو الجاحظ وقد ندد بك وأخذ بمخنقك؟ فقال أمثلي يخدع عن عقله، والله لو وضع رسالة في ارنبة أنفي لما أمست إلا بالصين شهرة، ولو قلت فيه الف بيت لما ظنّ منها بيت في الف سنة»(١)

وتمر السنون وتتعاقب الاجيال، وماتزال هذه العبقرية اللامعة تشع اضواءها من وراء التاريخ، فيشع نور العلم والادب في كل زمان ومكان، ولو سُألنا عن السبب لقلنا: ان الجاحظ يكتب ليصور الحياة على حقيقتها، ويرسمها كما هي دون تدخل أو زيف، شأنه في ذلك شأن المصور الذي يعطيك الحقيقة في اطارها المجرد، من غير أن يدخل عليها مايمسخ طبيعتها، أو يشوه معناها، ولعل ذلك هو السر في روعة بيانه وجمال فنه.

فهو لم يلجأ إلى الصور الخيالية في تعبيراته حينما يصف أو يصور، وانما كان يعتمد في ذلك على الحس والواقع، فيعطيك الحقيقة التي يتوخاها بالفاظ حقيقية مباشرة، تبرز لك المعنى في جلاء ووضوح، دون أن يجهد نفسه في تلمس التشبيهات والكنايات وما إليها من هذه الصور التي يصنعها الخيال.

قال الجاحظ «ولكل ضرب من الحديث، ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء، فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والافصاح في موضع الافصاح، والكتابة في موضع الكتابة، والاسترسال في موضع الاسترسال، وإذا كان موضع على انه مضحك ملهي، وداخل في باب المزاح والطيب فإستعملت فيه الاعراب، انقلب من جهته، واذا كان في لفظه سخف، وابدلت السخافة بالجزالة، صار الحديث الذي وضع على ان يسد النفوس يكربها، ويأخذ بأكظامها»(٢).

*باحث عراقي في التراث

ولقـد احس الجاحظ بان الذوق العام قد ينفر من اسـتعمال مثل هذه الالفاظ، وان كثيراً من الناس يتحاشـونها إذا جرهم الحديث إلى شيء منهـا، ولكنه كان يرى ان ذلـك منهم ليس الا تعففـاً مفتعلاً، وتوقراً لا أسـاس له، يقول في ذلك «وبعض الناس .... ارتدع وأظهر التعزز، واستعمل باب التورع، واكثر من تجده كذلك، فانما هو رجل ليس معـه من العفاف والكرم والنبـل والوقـار، الا بقـدر هـذا الشـكل من التصنع، ولم يكشـف قط صاحب رياء، ونفاق الا عن لؤم مستعمل، ونذالة مننسكة»[٣].

نعـم لقـد مثـل الجاحـظ الحيـاة التـي كان يحياهـا ادق تمثيل واصدقـه، مثلها في عملها وأدبها وفلفسـتها وحكمتها وساستها ودينها واخلاقهـا وحريتها، وليـس عليك ان اردت ان تعرف شـيئاً عن الحياة في عـصر الجاحظ ألا ان ترجـع إلى كتبه لتجد فيها الصور الحقيقية التي نقلها بكل موضوعية.

لقـد خـاض الجاحـظ في كل شيء يمكـن ان يخطـر في البال، أو يـدور في النفـس، أو يمر بالخاطر، ممـا هو الكائن في هـذه الحياة من معنى أو مادة كل ذلك وما اليه مما هو متصل بالحيـاة والاحيـاء، كتـب فيه الجاحـظ بعقل العالم، وروح الفنـان، وقلم الاديب، حتى قال ابـن العميد «علوم الناس كلهم عيال فيها على ثـلاث انفس ...اما البلاغة والفصاحة واللسـن والعارضة فعلى ابي عثمان الجاحظ، ان كتـب الجاحظ تعلم العقل اولا والأدب ثانيا»[٤].

● كتاب المعلمين :

قيـل لابـي العيناء «ليت شـعري اي شيء كان الجاحظ يحسن؟ فقال : «ليت شعري اي شيء كان الجاحظ لا يحسن»[٥].

وهكـذا كان ابـو عثمـان الجاحظ،عبقريـة انفسـحت امامهـا طرائق المعرفـة، فانطلقت محلقـة في كل الافـاق، لا تعـرف الحـدود ولا القيـــود، كأن معلمـة مـن المعلمات،جمعت فاوعت، واتسـعت لكل ما اتسـع له الزمن من صنـوف العلـم والمعرفة، فـكان حجة عصره، وآية دهره، ومعجزة ستبقى على مر الايام.

خلـف الجاحـظ جملـة غزيـرة مـن المؤلفات في شـتى نواحـي المعرفـة، وكان لشرائـح من مجتمعـه نصيـب كبير مـن مؤلفاتـه مثـل البخلاء واللصوص والكتاب والعيان والنسـاء والقـداد والغلمـان والملـوك والائمة والسـود والبيـض والـترك والتجار والشـعراء والعوام والـوكلاء والحجـاب والمـوالي واهـل الحيـل وطبقات المغنين، ولو وصل الينا تراث الجاحظ كامـلاً لكان دائـرة معـارف القرنـين الثاني والثالث الهجريين.

ومـن المفقود مـن تراثه كتـاب المعلمين، الذي حفظت منـه فصـول اختارها احـد المغرمين بالجاحـظ، وهـو عبيد اللـه بن حسـان، وقد طبعت هذه الفصـول المختارة اولا على هامش كتـاب الكامل للمبرد سـنة ١٣٢٣-١٣٢٤هـ، وهـي طبعـة نـادرة بحكم مـرور اكثـر من مائة عـام عليها، ثم الحقها المسـتشرق ريشر بمجموع رسائل الجاحظ التي طبعها في شتو تجارت سـنة ١٩٣١م، وبعدهـا تصدت مجلة المورد الغـراء ١٩٧٨ فنشرتها محققة بعددها الخاص عـن الجاحظ، واخـيراً ضمنها الجزء الثالث من رسائل الجاحظ للمحقق محمد عبد السلام هارون سنة ١٩٧٩م .

ومـن المعلـوم ان منهـج الجاحـظ في مؤلفاته معروف مشـهور، وقد صرح به اكثر من مرة، في اكثـر مـن موضع، فقـال «قد عزمـت والله الموفـق ان اوشـح هذا الكتـاب، وافصل ابوابه بنوادر من ضروب الشـعر. وضروب الاحاديث ليخـرج للقارئ هذا الكتاب مـن باب إلى باب، ومن شكل إلى شـكل، فأني رأيت الاسماع تمل الاصوات المطربة، والاغاني المحسـنة، والاوتار الصحيحـة، اذا طـال ذلك عليهـا، وما ذلك الا في طريـق الراحـة التـي طالما أورثـت الغفلة، وإذا كانـت الاوائل قد سـارت في صفاء الكتب هذه السـيرة، وكان هذا التدبير لما طالت وكثر واصلح» «على اني ربما وشحت وفصلت فيه بين الجزء والجـزء، بنوادر الـكلام، وطرف اخبار، وغرر أشـعار، مع طرف مضاحيك»[٦] وقال في مكان آخر «ولـك في هذا الكتاب ثلاثة اشـياء، تبـين حجة طريفة، أو تعرف حيلة ظريفة، أو اسـتفادة نادرة عجيبة، وانك في ضحك منه اذا شئت، وفي لهو اذا مللت الجد»[٧].

ان هذا المنهج الذي اتبعه الجاحظ في مؤلفاته، لم تسلم شـخصيته منه، نقل ياقوت الحموي قـول الجاحـظ في طريفة هـو صاحبها وهي «نسـيت كنيتـي ثلاثة ايـام حتى اتيـت أهلي، فقلت لهم : بم اكنى ؟ فقالو :بأبي عثمان»[٨].

وما يستدعي النظر ان عبيد الله بن حسان قد اختـار في فصوله الاخبار الجـادة فقط، والتي تخلـو من أية طرفـة من الطرائـف التي كان الجاحـظ ينشرها في مؤلفاته، والمشـهور لدى الباحثين هو «ان الجاحظ، وهو شـيخ الادباء، ومعلم عصره، اول من نقل الكفر، واذاع حول المعلم ما لا يناسـب حاضن التراث التربوي»[٩]

وما جاء في الفصول المختارة من كتاب المعلمين وغيره، يدحض هذه الغربة، وينفي هذه التهمة عنـه، ويثبت ان ما تناثر في هـذه المصادر من طرائف عن المعلمين لم يكن سوى النوادر التي زيـن بها كتـاب المعلمين، كما يفعل في سـائر مؤلفاته، وهذا ديدنه ومنهجه فيما كتب، كيف لا والجاحظ معلم للعقل ثم للادب.

يقـول الجاحـظ «وأنـت حفظـك اللـه لـو اسـتقصيت عـدد النحويـين والعروضيـين والحسُّاب والخطاطين، لوجدت اكثرهم مؤدب كبار، ومعلم صغار. فكم تظن انا وجدنا منهم القضاة والحكمـاء والولاة والمناكـير والدهاة، ومن الحماة والكفاة، ومن القادة والذادة، ومن الرؤساء والسادة، ومن كبار الكتاب والشعراء والـوزراء والادبـاء، ومـن اصحاب الرسـائل والخطابة، والمذكورين بجميع اصناف البلاغة، ومن الفرسـان واصحاب الطعـان، ومن نديم كريـم، وعالم حكيم، ومـن مليح ظريف، ومن شـاب عفيف، ولا تسـتعجل بالقضية قبل ان تستوفي في آخر الكتاب وتبلغ آخر العذر، فأنك ان كنـت تعمـدت تذممـت، وأن كنـت جهلت تعلمت، وما اظن من احسـن، بل الظن، الا قد خالف الحزم»[١٠].

ونجـده يعتـب عـلى من كتـب إليه في رسـالة الـوكلاء بقولـه «رأيتك،حفظـك الله،خونـت جميع الـوكلاء وفجرُّتهم،وشـنعت على جميع الوراقـين وظلمتهم، وجمعـت جميع المعلمين وهجرتهـم، وحفظت مسـاويهم، تناسـيت محاسـنهم واقتصرت على ذكـر مثالب الاعلام الجلـة»[١١]، فهو هنا لا يـرضى بتعميم الحكم، ويذهـب مذهبـاً عـادلاً في التقديـر لذلك نالت

مؤلفات الجاحظ شهرة واسعة، فكان الناس يرغبون باقتناء مايسمعون عنه من مؤلفات، وفي هذا المعنى ذكر ابو حيان التوحيدي «ان من عجيب الحديث في كتبه ماحدثنا به علي بن عيسى النحوي، الشيخ الصالح، قال: سمعت ابن الاخشاء، وشيخنا ابا بكر يقول: ذكر ابو عثمان في اول كتاب الحيوان اسماء كتبه، ليكون ذلك كالفهرست، ومرَّ بي من جملتها كتاب (الفرق بين النبي والمتنبي)، وكتاب (دلائل النبوة) واعاد كتاب الفرق في الجزء الرابع لشيء دعاه إليه، فاحببت ان ارى الكتابين، ولم اقدر إلا على واحد منهما، وهوكتاب (دلائل النبوة)... فلما شخصت من مصر ودخلت مكة حرسها الله حاجاً، آقمت منادياً بعرفات ينادي والناس حضور من الافاق، على اختلاف بلدانهم وتنازح اوطانهم، وتباين قبائلهم واجناسهم، على كتاب (الفرق بين النبي والمتنبي) لابي عثمان الجاحظ على اي وجه كان، قال: فطاف النادي في ترابيع عرفات وعاد بالخيبة» وقد علق الحموي على هذا الخبر قائلاً «حسبك فضيلة لابي عثمان ان يكون مثل ابن الاخشاء، وهو في معرفة علوم الحكمة، وهو رأس عظيم من رؤوس المعتزلة، يستهام بكتب الجاحظ حتى ينادي عليها بعرفات والبيت الحرام»[١٢].

ومما يجدر ذكره ان النصوص التي تخلو منها اختيارات عبيد الله بن حسان، كانت الريادة في نشرها للمطبعة الكاثوليكية في كتابها (البيان والتبيين واهم الرسائل) المطبوع سنة ١٩٥٩، الذي احتوى على نص يتيم اشرنا اليه في مكانه، وثنى المحاولة عمر ابو النصر في كتابه (اثار الجاحظ) المطبوع سنة ١٩٦٩، وقد وسم الباب باسم في نوادر المعلمين، و(ثالثة الاتافي) عملي هذا، وليس بمستكثر على الباحثين الافاضل الاستدراك عليه، ولعل هناك نصوصاً فاتتني، ولان الاحاطة بمثل هذا الموضوع أمر بعيد المنال، دونه خرط القتاد.

وبعد هذه نصوص جاحظية نرى أنها من كتاب المعلمين، وجدناها متناثرة في مختلف المصادر والمراجع، لايجمعها جامع، ولم ينتظمها عقد، ألفنا بينها لنقدمها نصوصا من كتاب المعلمين، القسم الاول منها ورد في مصادر معروفة، والقسم الثاني ورد في مراجع لم تذكر مصادرها التي لم نهتد اليها فكان ذكرها مكملاً للقسم الاول على علاتها، مستلطفين مبالغة عبد الله بن حمود الاشبيلي حين يقول «رضيت الجنة بكتب الجاحظ عن نعيمها»[١٣]، والله من وراء القصد.

النصوص /القسم الاول

(١)

قال الجاحظ:

عبرت يوماً على معلم كتاب، فوجدته في هيئة حسنة وقماش مليح، فقام اليَّ واجلسني معه، ففاتحته في القرآن، فاذا هو ماهر، ففاتحته في النحو، فوجدته ماهراً، ثم اشعار العرب واللغة، فاذا به كامل في جميع مايراد منه، فقلت قد وجب تقطيع كتاب المعلمين.

وكنت كل قليل اتفقده وازوره، فاتيت في بعض الايام إلى زيارته فوجدت الكتاب مغلقاً، فسألت جيرانه فقالوا: مات عنده ميت، فقلت: اروح اعزيه، فجئت إلى بابه فطرقته فخرجت اليّ جارية وقالت: ما تريد؟ قلت: مولاك، فقالت:

مولاي جالس وحــده في العزاء، ما يعطي لاحد الطريــق، قلت: قولي له صديقك فلان يطلب ان يعزيك.

فدخلت وخرجت وقالت: أسم الله، فعبرت اليه فاذا هو جالس وحده فقلت: أعظم الله أجرك، لقد كان لكم في رســول الله اسوة حسنة، وهذا سبيل لا بد منه فعليك بالصبر، ثم قلت: أهذا الذي توفى ولدك؟ قال: لا، فقلت: فوالدك؟ قال: لا، قلت: فاخوك؟ قال: لا قلت: فمن؟ قال: حبيبتي. فقلت في نفسي هذه أول المناجس، وقلت له: سبحان الله تجد غيرها، وتقع عينك على احســن منها، فقال: وكأني بك وقد ظننت أني رأيتها، فقلت في نفسي هذه منجســة ثانية، ثم قلت: وكيف عشقت من لارايته؟ فقال: اعلم اني كنت جالساً، واذا برجل عابراً يغني وهو يقول:

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة
ردي عليَّ فؤادي اينما كانا
لا تأخذين فؤادي تلعبين به
فكيف يلعب بالإنسان انسانا

فقلــت في نفسي لــولا ام عمرو هذه مــافي الدنيا مثلها ماكان الشعراء يتغزلون بها، فلما كان بعد يومين عبر عليَّ ذلك الرجل وهو يغني ويقول:

إذا ذهب الحمار بام عمرو
فلا رجعت ولارجع الحمار

فعلمت انها ماتت فخرجــت عليها، وقعدت في العزاء منذ ثلاثة ايــام: فقال الجاحظ: فعادت عزيمتــي وقويت على كتابة الدفــتر لحكاية ام عمرو[١٤].

(٢)

قال الجاحظ:

ورايت معلمــا قد جاءه غلامــان، قد تعلق كل واحد منهما بالآخر، فقال احدهما: يامعلم هذا عض أذنــي، فقال الآخــر: ماعضضتها، وأنما عض أذن نفسه، فقال: ياأبن الخبيثة هو جمل حتى يعض أذن نفسه[١٥].

(٣)

قال الجاحظ:

مررت بمعلم صبيان، وهو جالس وحده، وليس عنده صبيانه، فقلت له: ما فعل صبيانك؟ قال: ذهبوا يتصافعون، فقلت: اذهب وانظر اليهما، فقال: ان كان لابد فغط رأسك لئلا يحسبوك انا فيصفعوك حتى تعمى[١٦].

(٤)

قال الجاحظ:

قلــت لبعــض المعلمين: مــالي لا أرى لك عصا؟ قــال: لا أحتــاج اليها، وانما أقــول لمن لا يرفع صوتــه أمه زانيــة، فيرفعــون أصواتهم، وهذا أبلغ من العصا وأسلم[١٧].

(٥)

قال الجاحظ:

كان ابن شــبرمة[١٨] لا يقبل شــهادة المعلمين، وكان بعــض الفقهــاء يقــول: النســاء أعــدل شهادة من المعلم[١٩].

(٦)

قال الجاحظ:

كان في المدينــة رجــل، معلــم صبيــان يفــرط في ضربهــم، فلاموه عــلى ذلك، فســاءني حاله معهــم، فذهبت اليه، وســألته عن ذلــك، فجاء غلام فاســتفتح وقال: يامعلم (وان عليك اللعنة إلى يوم الديــن)[٢٠] ومابعده؟ فقال: عليك وعلى والديك لعائن الله تترى. وجاء آخر فقال: يامعلم (فاخرج منها فأنــك رجيم)[٢١] ومابعده؟ قال:

«ذاك ابوك الكشـخان، وجـاء آخر فقال: مالنا في بناتك من حـق»[٢٢] ومابعده؟ فقال: لا، ولا رأيتهن.

فقال: على هـذا اضربهـم أتعذرونني؟ فقلت: نعم[٢٣].

(٧)

قال الجاحظ:

سرق صبي عثماني مصحفـاً، فقال له المعلم: ماذا لقيت المصاحف منكـم ياآل عثمان، أبوك أحرقها وانت تسرقها[٢٤].

(٨)

قال الجاحظ:

مـررت بمعلم وقد كتب الغلام (واذ قال لقمان لابنه وهـو يعظه) (يابنـي لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا)(واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا)[٢٥].

فقلت له: ويحك فقد ادخلت سـورة في سورة، قـال: نعم اذا كان أبوه يدخل شـهر في شـهر، فانا ايضاً ادخل سورة في سورة، فلا آخذ شيئاً ولا ابنه يتعلم شيئا[٢٦].

(٩)

قال الجاحظ:

مررت بمعلـم وصبيانه يتصافعون، وبعضهم يصفع المعلم، فقلت لهم: ماهذا؟ قال: يكون لي عليهـم دين، فقلت له: ينـسى ويقضى، ولا أراه يحصل شيئاً[٢٧].

(١٠)

قال الجاحظ:

مـررت بمعلـم وعنـده عصـا طويلـة، وعصا قصيرة، وصولجان وكـرة وطبل وبوق، فقلت لـه: ماهـذه العـدة؟ قـال: عنـدي صغـار في المكتب، فأقـول لاحدهم: اقـرأ لوحك، فيصفر لي، فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر، فأضربه بالعصـا الطويلة، فيفر من يدي، فأضع الكرة في الصولجان فأشجه، فتقوم اليَّ الصغار كلهم بالالـواح، فاعلـق الطبل في عنقـي، والبوق في فمي، فاضرب بالطبل وانفخ في البوق، فيسمع أهل الدرب ذلـك فيسـارعون اليَّ ويخلصوني منهم[٢٨].

(١١)

حكى الجاحظ قال:

مـررت بخربة فاذا بهـا معلم وهـو ينبح نبح الكلاب، فتوقفت انظر اليه، فاذا بصبي خرج من باب دار، فأمسكه المعلم، وجعل يلطمه ويسبه، فقلت له: عرّفني خبره، فقال: هذا الصبي يكره التعليـم، ويهـرب، ويدخل إلى داخـل الدار ولا يخرج، وله كلب يلعب به، فاذا سمع صوتي ظن أنه صوت الكلب، فيخرج فأمسكه[٢٩].

(١٢)

قال الجاحظ:

قلـت لمعلم: لمَ تضرب غلمانـك من غير جرم؟ قال: جرمهم اعظم الاجرام، يدعون لي أن أحج، وأن حججت تفرقوا في المكاتب، فمتى أحج فانا مجنون[٣٠].

(١٣)

قيـل ان معلمـا جاء إلى الجاحـظ، فقال: انت الـذي صنعت كتـاب المعلمـين تعيبهم؟ قال: نعـم، قـال: وذكرت فيـه أن بعـض المعلمين جاء إلى الصياد وقـال: أيش تصطاد طريا ام مالحا؟ قال: نعم، قال: ذلك أبله، ولو كان فيه ذكاء، كان يقـف فينظـر ان خرج طري علم، وانخـرجمالـحعلـم[٣١].

(١٤)

قال الجاحظ:

عقـل مئة معلم عقـل امرأة، وعقـل مئة امرأة عقـل حائـك، وعقل مئـة حائك عقـل خصي، وعقل مئة خصي عقل صبي[٣٢]، قال الشاعر:

معلم صبيان وصاحب درة

ليس له عقل بمقدار ذرة[٣٣]

(١٥)

قال الجاحظ:

أتـت أمرأة إلى معلم بابن لهـا، وكان المعلم طويل اللحيـة[٣٤]، فقالت: ان هذا الصبـي لا يطيعني، فأحب ان تفزعه، فأخذ المعلم لحيته فألقاها في فمه، وحرك رأســه، وصاح صيحة، فقالت قلت لك أن تفزع الصبي وليس أياي، فقال لها: مري حمقاء، ان العذاب اذا نزل هلك الصالح والطالح[٣٥].

(١٦)

قال الجاحظ:

مـن اعجب ما رأيت معلما بالكوفة، وهو شـيخ جالس ناحية من الصبيان يبكي، فقلت له: ياعم ممَ تبكي؟ قال: سرق الصبيان خبزي[٣٦].

(١٧)

قال الجاحظ:

ومن امثال العامة: أحمق من معلم، وقد ذكرهم صقلاب فقال: وكيف يرجى العقل والرأي عند مـن يروح على انثى ويغدو على طفل، وفي قول بعـض الحكماء: لاتستشـيروا معلما ولا راعي غنم، ولا كثير العقود مع النسـاء، وقد سـمعنا قـول بعضهـم، الحمـق في الحاكـة والمعلمين والغزالين[٣٧].

(١٨)

قال الجاحظ:

رأيت أربعة أشياء عجيبة... ورأيت معلماً يعلم الصبيان القرآن، والصبايا الغناء[٣٨].

نصوص القسم الثاني

(١٩)

قال الجاحظ:

مـررت بمعلـم يضرب ديـكاً ويقول لـه: ألف شـين.. ألف شـين، فقلت له: ما هذا؟ فقال لي: أعزك الله أنظر إلى تلك المزبلة، وأشار إلى مزبلة أمـام مكتبـه، فقال: أنـا أنصب فيهـا فخاخاً لصيـد العصافير، فيأتـي هذا الديـك فيلتقط الحـب الذي أجعل لهـا، فأقول لـه (أش) فلا يفهمني، فقلـت لعله لا يعلم، وأردت ان أعلمه حتى يفر مني[٣٩].

(٢٠)

قال الجاحظ:

دخلت عـلى مؤدب، ورأسـه في حجـر صبي، وفي أذنـه خرقة معلمـة، وكان المؤدب أصلع، والصبي يكتب في رأسـه، ويمحـوه بالخرقة، ثـم يكتب مرة أخرى، فقلت لـه: ما هذا الذي يصنع الصبي في رأسـك؟ قـال لي: يافلان هذا الصبي يتيم وليس له لوح، ولا مايشـتريه به، فأنـا أعطيـه رأسي ويكتب فيـه، ابتغاء ثواب اللـه[٤٠].

(٢١)

قال الجاحظ:

مـررت بمعلم والصبيـان يضربونه، وينتفون لحيته، فتقدمت لاخلصه، فمنعني وقال: دعهم بينـي وبينهم شروط، أن سـبقتهم إلى الكتّاب ضربتهـم، وان سـبقوني ضربونـي، واليـوم غلبني النوم فتأخرت، ولكن وحياتك الاّ بكّرت غداً من نصف الليل، وتنظر فعلي بهم، فالتفت

اليــه صبي وقــال: أنا ابيت الليلــة هاهنا حتى تجيء واصفعك[٤١].

(٢٢)

قال الجاحظ:

خرجنــا مرة إلى حرب، ومعنا معلم كان يقول: أني اتمنــى أن أرى الحــرب، فاخرجناه معنا، فأول ســهم وقع في رأسه، فلما أنصرفنا دعونا لــه معالجا، فنظــر اليه فقــال: أن خرج الزج وفي رأســه شيء من دماغه مات، وان لم يخرج مــن دماغــه شيء لم يكــن عليه بأس، فســبق اليــه المعلم وقبل رأســه، وقال لــه: بشرك الله بــكل خــير، أنزعه فما في رأسي مــن دماغ، قال الحجام: ولم؟ قال: لانــي معلم، ومافي رؤوس المعلمين ذرة من دمــاغ، ولو كان في رأسي ذرة من دماغ ماكنت ها هنا[٤٢].

(٢٣)

قال الجاحظ:

وانمــا نســب المعلمــون للحماقــة لمعاملتهــم الصبيان بالتحقيق[٤٣].

●الهوامش:

(١)ياقوت الحموي، معجــم الادباء طبعة محمد فريد رفاعي القاهرة ج١٦/ص٩٩.

(٢)الجاحــظ، الحيــوان تحقيــق محمد عبد الســلام هارون القاهرة ج٣/ص٣٩.

(٣)الجاحظ مصدر سابق ج ٣/ص٢٠.

(٤)ياقوت الحموي، مصدر سابق ج ١٦/ص١٠٣

(٥)الحــصري القيروانــي جمــع الجواهــر في الملــح والنوادر، تحقيق البجاوي، القاهرة ١٩٥٣،ص١٦٥.

(٦)الجاحظ الحيوان ج٣/٧،٦/١٥.

(٧)الجاحظ البخلاء تحقيق الحاجري القاهرة ١٩٧٦، ط٥، ص٥.

(٨)الخطيــب البغدادي تاريخ بغــداد ج٢/ص٢١٣، ياقوت الحموي معجم الادباء ج١٦/ص٧٥.

(٩)عبــد الحميد العلوجي عطر وحــبر بغداد ١٩٧٦، ص١٤٧.

(١٠)مجلــة المورد العدد الرابع المجلد الســابع ١٩٧٨ ص١٥٠.

(١١)الجاحظ، رســائل الجاحظ طبعة ساسي القاهرة ١٣٢٤، ص١٠٧

(١٢)راجع معجم الادباء .

(١٣)الســيوطي، بغية الوعاة في طبقات النجاة تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم القاهرة ج ٢،١٩٦٥/ص٤١.

(١٤)الجاحــظ البيان والتبيين واهم الرســائل بيروت المطبعــة الكاثوليكيــة ١٩٥٩ص ١٩٣،ابــن حجــة الجمــدي ذيل تــراث الاوراق على هامش المســتطرف القاهــرة ،١٩٥٢، ج١/ص١٧٣، نعمة الله الجزائري زهر الربيع بومبي ١٣٤٢هـ، ص٩.

(١٥)ابــن الجــوزي، أخبار الحمقــى والمغفلين اعتناء وتحقيق علي الخاقاني بغداد ١٩٦٦، ص ١٧٤.

(١٦)ابن الجوزي مصدر سابق ص ١٧٤.

(١٧)ابن الجوزي مصدر سابق ص ٧٢.

(١٨)هــو ابن عبد الله بن شــبرمة الــضي الكوفي، تولى الإفتاء في الكوفة، عاصر أبا حنيفة، لذلك يأخذ الأحناف رأيه، توفى سنة اربع واربعين ومائة.

ابــن خلــكان، وفيات الاعيــان تحقيق احســان عباس بــيروت دار صادر ج٦/ص٣٢٠، ابــن العماد الحنبلي شذرات الذهب بيروت ج١/ص٢١٥.

(١٩)لم ينفرد ابن شــبرمة بذلك فقد شاركه سوار بن عبد اللــه البصري، والقاضي يحيى بــن أكثم، وتعليله ان المعلم يأخــذ على تعليم القرآن أجــراً، وهذا في نظر الفقهاء يسقط العدالة والمروءة.

(٢٠) سورة الحجر الاية ٣٥.

(٢١) سورة الحجر الاية ٣٤.

(٢٢) سورة هود الاية ٧٩.

(٢٣) الشريشي، شرح مقامات الحريري تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٧٦،ج ٥/ص٢١٠.

(٢٤) الشريشي مصدر سابق ج٥/ص٢١١.

(٢٥) سـورة لقمان الاية ١٣، سـورة يوسف الاية ٥، سورة الطارق الاية ١٧.
(٢٦) ابن الجوزي مصدر سـابق ص ١٧٤، الشريشي مصدر سابق ج٥/ص٢١٠.
(٢٧) ابن الجوزي مصدر سابق ص١٧٣.
(٢٨) نعمـة اللـه الجزائري مصدر سـابق ص ١٠٣، الخوانساري روضات الجنات طهران ج٥/ص٣٢٨.
(٢٩) نعمة الله الجزائري مصدر سابق ص ١٠٣.
(٣٠) ابن الجوزي مصدر سابق ٧٢.
(٣١) ابن الجوزي مصدر سابق ١٧٣.
(٣٢) مع ان الجاحـظ في البيان والتبيين يؤكد على ان (لاتـدع ام صبيك تضربه، فانه أعقل منها، وان أسـن منه) الا ان معادلة عقل المرأة بالحائك منسوبة إلى ابن الجوزي. راجع البيان والتبيين ج١/ص٤٨، ابن حجة ثمرات الاوراق ج١/ص١٤٥.
(٣٣) الشريشي مصدر سابق ج٥/ص٢٠٩.
(٣٤) تسـتدل العرب عـلى الاحمق من صفـات، منها طول اللحية.
(٣٥) ابـن الجـوزي مصدر سـابق، الشريشي مصدر سـابق ج٥/ص٢١٢، نعمـة اللـه الجزائـري مصدر سابق ص ٢١٦.
(٣٦) ابن الجوزي مصدر سابق ١٧٤.
ومـن موضوعية الجاحـظ نقل صـورة المجتمع حتى وان كانت قاسية وحزينة جداً كما في هذا النص، الا أن ممـا يجدر ذكره أن خبـز المعلم يضرب به المثل لكونه يرد اليه من بيوت التلاميذ، لذلك فهو مختلف الاشكال والاحجـام، وقـد عبر عن ذلك الشـاعر ابو الشـمقمق بقوله:

خبز المعلم والبقال متفق
واللون مختلف والطعم والصور

وقال اخر في الحجاج وكان معلما ويدعى كليبا:

ابني كليب زمان الهزال
وتعليمه سورة الكوثر
رغيف له فلكه ماترى
وآخر كالقمر الازهر

(٣٧) الجاحـظ البيـان والتبيـين تحقيـق محمد عبد السلام هارون القاهرة ج١/ص٢٤٨.
(٣٨) التوحيـدي البصائـر والذخائـر تحقيـق وداد القاضي بيروت دار صادر ١٩٩٩، ط٢، ج٧/ص٣٢.
(٣٩) هيكل نعمة الله أحـلى طرائف ونوادر اللغويين والنحاة والمعلمين والالغـاز بيروت جروس برس د.ت ص ٥٨، راجـي الاسـمر أحـلى النـوادر والطرف من الـتراث العربي بـيروت جروس بـرس طرابلس لبنان د.ت ص ٩٤.
(٤٠) راجي الاسمر مرجع سابق ص ٩٤.
(٤١) هيكل نعمة الله مرجع سابق ص ٥٨.
(٤٢) د. عزمـي سـكر أحـلى الطرائـف واللطائف في الفكاهـة والضحك المؤسسـة الحديثـة للكتاب بيروت لبنان د.ت ص ٣٩.
(٤٣) هيكل نعمة الله مرجع سابق ص ٦٦.

Texts from the book (The Teachers) for Al-Jahiz

Prepared and commented by: Maan Hamdan Ali
An Iraqi researcher in heritage

Abstract

The researcher talks about one of the flags of the Arab Islamic heritage, Al-Jahiz, through his book (The Teachers), which we learn from reading despite the succession of generations and the passage of years, the permanence of that brilliant genius and its brightness from behind history that does not shine the light of science and literature in every time and place this is because Al-Jahiz writes to depict life and draw it to its true nature without interference, falsity or distortion of its meaning, by relying on sense and reality, so he gives us the truth that he seeks with real, direct words, the meaning emerges in clarity, without bothering himself to touch the similes and metaphors and the related images that the imagination creates, the researcher has shown that Al-Jahiz is involved in everything that may come to mind, or turn in the soul, or wander in a thought, what is in this life of meaning or substance, and everything that is connected to life and living peoples, Al-Jahiz wrote in the mind of the scientist and the spirit of the artist, and the writer's pen Inferred to that from the book (The Teachers) that he wrote, referring to some of his texts indicating his method and what was said about it from the words that came in books and conjectures.